

منظمة التحرير الفلسطينية

تقييم التجربة وإعادة البناء



تحرير

د. محسن محمد صالح

المشاركون

حلمي موسى
صقر أبو فخر
د. محمد السيد سعيد
نافذ أبو حسنة

د. أنور أبو طه
شفيق الحوت
د. محسن محمد صالح
منير شفيق

أسامة حمدان
سهيل الناطور
فتحي أبو العردات
مروان عبد العال

أ.د. أحمد سعيد نوفل
د. سلمان أبو ستة
أ.د. عبد الله الأشعل
محمد تيسير الخطيب



مناقشة الجلسة الثالثة

هشام دبسي:

ملاحظات سريعة دون مناقشة: كل المناقشات اتسمت بالتجريدية واستنساخ النظريات والأيدولوجيات وتقديم الخصوصية في النظرة للقضية الفلسطينية، الحركة تقودنا ثم نبحث عن كيفية إيجاد إطار نظري لها عند مراجعة التجربة، عندما نتحدث عن إنجازات نعزوها فوراً إلى كفاح الشعب الفلسطيني، وعندما نتحدث عن إحيات نعزوها إلى الأداء السياسي، لم أسمع أحد يتحدث عن إنجازات المنظمة، لا يمكن الحديث عن أوصلو إذا كان هو السبب في الانتفاضة الأخيرة، نعدّ السياسة رذيلة ونتحدث عن الإنجازات على اعتبارها من كفاحية الشعب.

ثانياً، في مسار عملنا السياسي وفي المؤتمرات الوطنية والمجالس والبرامج التي تصاغ لدى الفصائل أو المجلس الوطني، هناك محاولة إيجاد حلول، نحن لا نعترف بالوقائع إلا بعد أن تذبحننا وتركعنا، فتأتي الاستجابة لما حصل، لم يحدث حتى الآن أن تقدم الوعي على الحركة.

فيما يخص منظمة التحرير؛ منظمة التحرير قامت على الميثاق الوطني والقومي وتطور الأمر، كان عقداً وطنياً عكس استراتيجية وأنتج شرعية، ولكن أقول لمن يعيب على عدم الالتزام في داخلها، هل هناك مفهوم راسخ للشرعية الفلسطينية، مفهوم بحاجة إلى المزيد من الدراسة إذا كنا نبحث عن عقد وطني جديد، أو بالعودة إلى القديم يجب علينا حل إشكالية راهنة كبيرة، لمجلس وطني كبير، استراتيجية الدولتين واستراتيجية تحرير كامل التراب؟ كيف يمكن عقد ميثاق وطني جديد يجمع كل الفلسطينيين هنا السؤال.

أحمد نوفل:

كم مركز أبحاث أنشئ منذ عام 64؟ الدراسات التي كانت من قبل تشكل صورة عن الخلاف الحقيقي بين قيادة المنظمة وبين السلطة الفلسطينية، هناك هوة في العلاقة

بين المثقف الفلسطيني، والقيادة الفلسطينية. بالنسبة للاجئين في الأردن القضية حساسة، وقضية إجراء انتخابات في الأردن صعب تنفيذها ولكن قبل أشهر حين أجريت انتخابات في العراق شارك العراقيون في الأردن في الانتخابات، إذا كان هناك إجماع عربي لتسهيل عملية الانتخابات ممكن أن تحصل، أيهما أهم حق العودة أم إقامة دولة فلسطينية؟

ماجد عزام:

كنا نستحق قائداً أفضل من عرفات، مركز الأبحاث هو انعكاس لواقع الشرذمة الذي كنا نعيشه، وطالما أن قادتنا يفكرون بهذه الطريقة، من المنطق أن تقوم الحرب الأهلية.

محمود الحنفي:

تعليقاً على ملف اللاجئين، ما ربط بين اللاجئين في لبنان والمنظمة هو اتفاق القاهرة، بعد افتتاح مكتب المنظمة نشر كلام مفاده أن اللبنانيين اشتروا أن يضطلع المكتب بأي مسؤولية فيما يتعلق بشؤون اللاجئين، أتساءل إذا لم يكن مسموحاً لمكتب المنظمة أن يهتم بأوضاع الفلسطينيين في لبنان، فماذا يكون دوره ولماذا في هذا الوقت بالذات؟

غابي الجمال:

الفلسطينيون كانوا مجرد أرقام، اليوم هناك محاولة لإعادتهم أرقام على جداول البنك الدولي على قاعدة أن يصبح الخوف على مرتباتنا برنامجاً فلسطينياً عاماً بدل مقاومة الاحتلال، ونسيان أن الفلسطينيين لديهم قضية تحرر وطني.

حول القضايا الفكرية غياب الفكر يؤدي إلى مصائب من نوع عسكرية الفصائل، وغياب الفكر الاستراتيجي، أي مأزق، نبحث عن تسوية، ثم نفرضها على الآخرين، كل فصيل له برنامجه لم يكن هناك مواءمة في منظمة التحرير بين هذه الفصائل بل كانت هناك كوتا.

شفيق الحوت:

لم أرد أن أتكلم، ولكن في الربع ساعة الأخير استفزت، نحن نتكلم عن عشرات

الآلاف من الشهداء والأيام المريرة الصعبة أربعون عاماً بالخدق، هذه هي منظمة التحرير والتنظيمات الفلسطينية، ما هكذا تورد الإبل، علينا أن نتق الله في أنفسنا في الحديث عن عرفات، مرة أخرى تغيب الصورة عنا، ونتهم المنظمة، من كان يمسك بالمنظمة، أنتم! هل صار كل ما حصل يتحملة ياسر عرفات، أنتم من صنعتم ياسر عرفات، ولولا سكوتنا، لم يستنسر ولم يستأسد، الدم لم يبرد بعد، والعدو ما زال يذبنا، ونحن ما نهاجم بعضنا، انتم من يجب أن يضع الشروط، في النهاية كل واحد منا مجبر أن يتكلم مع الطرف الآخر. كل الكون ضدنا، الغرب كله ضدنا، الدول العربية في أسوأ حالاتها في التاريخ، ونحن؟ أين نحن اسألوا أولادكم، تريدون الهجرة، فكروا بشيء من الواقعية المؤلمة وليست الشامتة، أقول لحماس لا تعيدوا تجربة فتح، ولا تفكروا بالوحدانية لا مجال لفصيل واحد أن يحكم الشعب الفلسطيني. لا أحد يستطيع أن يكون وصياً على الشعب الفلسطيني، وما تقدمونه للشعب هو الذي يحكم لكم أو عليكم، أنا أعرف مأساة أخي أنيس الصايغ مع أبي عمار، حتى هو نفسه لم يعرف أن يفسرها في مذكراته، ولكن كل زعماء الثورات في العالم كانوا أعداء الثقافة، وأبو عمار واحد منهم. أبو عمار ليس ملاكاً وهو مليء بالأخطاء، ولكن غيره ليس أفضل، الأمور نسبية جداً.

عزام التميمي:

يجب أن نقترح كيف نعيد تفعيل أو ترتيب أوضاع المنظمة، ويجب أن يكون التركيز على ذلك دون أن يحرفنا عن ذلك إعادة سرد الوقائع التاريخية التي ليس لها علاقة بالمهمة المطلوبة، يجب أن يتركز الجهد على كيفية إيجاد آلية إعادة ترتيب الوضع الداخلي للمنظمة، حتى تصبح فعلاً ممثلاً حقيقياً لنا جميعاً.

أسامة حمدان:

ابتداءً أنا لم أكن بوارد التعليق لأنني عندما جئت إلى هذه الحلقة أردت أن أستمع وأستفيد، لأننا لا نريد تكرار تجارب سابقة كتجربة التفرد، ولا التجارب التي قادت بعض المؤسسات إلى الانهيار، لا نريد أن نكرر هذه التجارب، أقف لأنساءل لأكتشف أن المنظمة هي كيان سياسي، والوطن الاعتباري، ومرة جبهة تحالف وطني فلسطيني، ومرة ثالثة الوجه الآخر لتنظيم فلسطيني بعينه، ولذلك يجب إعادة تعريف منظمة

التحرير، أنا فعلاً كنت أتمنى أن نظل في دائرة أخذ الدرس من خلال لمس الأخطاء دون الغوص في التفاصيل، ورفض الأخطاء هو نوع من الإرهاب الفكري، مع تأكدي أن لا يصل الأمر إلى الإساءة إلى أحد، المهم أن يكون تقييم التجربة رائده المصلحة المستقبلية. نحن نعيش محطة مفصلية في تاريخنا، لكن أعتقد نحن الآن أمام فرصة لإعادة ترتيب أوراقنا كشعب ومشروع وطني على الرغم من تبايناته، ويجب عدم تضييع الفرصة بالتناحر، بل بتوفير فرصة للتقدم خطوة إلى الأمام. الحقيقة أود أن أشير إلى مسألتين: أولاً حتى الآن أعتقد أنه لم يتضح لي ما هي العلاقة بين صانع القرار السياسي ومراكز الأبحاث والتخطيط؟ إلى أي مدى كان هذا حاصلًا، وما هي العقبات، بالنسبة لموضوع اللاجئين يجب طرحه ليس فقط على حق العودة وحده، بل إضافة إلى ذلك حق اللاجئين في المقاومة لكي يرجعوا، ولا أعني مجرد حمل السلاح بل المقاومة بالمعنى الشامل.

منير شفيق:

في تعاملتي مع القضية الفلسطينية وخصوصاً تقييم تجاربها أو تحديد الموقف المستقبلي منها، بداية أتوقف عند موازين القوى، موازين القوى العالمية والإقليمية لم تكن مواتية للشعب الفلسطيني منذ ما بعد الحرب العالمية الأولى، وبالتالي كانت الحركة الوطنية الفلسطينية تسبح ضد التيار الجارف والقوي، وكانت تأخذ القرارات وتناضل ضمن تلك المعادلة. إلى جانب هذه المعادلة، هناك المعادلة العربية التي كانت بشكل أو بآخر نتاجاً لموازين القوى تلك، التي جزأت هذه القوة العربية، أو جعلتها خاضعة لهيمنتها وتدخلها المباشر أو غير المباشر. لذلك عندما جاء الجيل الذي بنى منظمة التحرير، فإنهم حسبما أرى قد ظلموا كثيراً الحاج أمين الحسيني وتجربة الحركة الوطنية الفلسطينية، ولم يأخذوا بعين الاعتبار صعوبات تلك المرحلة من حيث موازين القوى والوضع العربي. وإنما ظنوا أنهم باستطاعتهم إذا ما أجهزوا على هذه القيادة، باعتبارها يمينية أو إلى آخره أن يأتوا بالعجائب، إذا طرحوا برامج أخرى وأحزاب أخرى، غير مدركين لصعوبة تلك المرحلة. وقد جربت منظمة التحرير نفسها، ودخلت المعترك أيضاً في موازين قوى غير مواتية، وفي وضع عربي في بعض نواحيه كان أفضل من أيام الحاج أمين ولكنه أيضاً لم يكن مواتياً بالمعنى الدقيق، وبالتالي كانت هناك سياسات مضطرة إلى أن تواجه ظروفًا بمنتهى الصعوبة فعلاً، وأنا برأيي

لم يكن هناك من إمكانات لانتصارات أو لحسم القضية الفلسطينية مع الدول العربية والمشروع الصهيوني، لا في مرحلة الاحتلال ولا في المرحلة التي جاءت فيها المنظمة. كانت هناك سقوف يمكن تحقيقها بالصمود والمقاومة والقتال، منها مثلاً عدم السماح للمشروع الصهيوني أن يتمدد ويتحرك كما يريدون، ومنع التدهور في مجموعة قضايا حُقت أو حُقق جزء كبير منها. فعلاً الانتصار لم يكن بين أيديهم، وحتى هذه اللحظة ليس هناك انتصار بين أيدينا بمعنى إنزال الهزيمة بالمشروع الصهيوني. وهذا برأبي مهم جداً عند تقييم التجربة.

حقيقة، باعتبار أنني كنت عضواً في منظمة التحرير أريد أن أبدي رأبي ضمن هذه المعادلة، وإن اختلف معي كل منظمة التحرير، فبرأبي أنه كان على منظمة التحرير الفلسطينية وفتح أن لا يدخلوا في اللعبة الدولية وفي لعبة التسوية وأن يبقوا في المقاومة فقط، مقاومة الاحتلال. وما دامت هناك ظروف عربية وظروف دولية تسمح باستمرار المقاومة، فلتبقى في المقاومة، وليتركوا موضوع التسوية للملتزم بها مثل مصر والأردن والبلدان العربية. ولكن أن يسعوا للدخول في هذا الموضوع، ليس كمقاومة، ولكن كطرف ويسعوا لتقديم الحل، ويتمسكوا به، كان هذا برأبي جوهر الخطأ الذي ارتكب. أعتقد الآن أن المشكلة نفسها قد تواجه حماس: هل ستبقى في موقع المقاومة وموقع التمسك بالثوابت، ولا تدخل في اللعبة معتبرة أنها تستطيع أن تستحصل منها على أفضل مما كان يمكن أن يحصل عليه عبد الناصر رحمه الله أو الملك حسين أو ياسر عرفات أو أي زعيم عربي. برأبي نحن بحاجة أن يبقى الشعب الفلسطيني في موقع المقاومة. وفي نظري أن منظمة التحرير كان هذا خطأها الأول، وخطأها الثاني أن تقبل أن تجعل الدولة الفلسطينية هدفاً. الهدف كان دائماً استرجاع الأرض وليس إقامة الدولة، فمن الخطأ أن تقايض الأرض (وهي الأولوية) مقابل الدولة، فربما إن استرجعت الأرض تصبح الدولة في متناول اليد.

العمل السياسي يشبه باخرة في قلب عاصفة وأمواج عالية، وعليك أن تخطط كيف تفلت منها، فالأمر مختلف عندما يكون الشيء مستقراً.

صقر أبو فخر:

سأبدأ من كلام الأخ العزيز أسامة حمدان وهي نقطة جوهرية جداً: ما هو دور مراكز

البحث والتخطيط في صنع القرار الفلسطيني، وحبذا لو كان هناك ورقة مستقلة في هذه النقطة. برأيي إن القرار السياسي الفلسطيني كان يصنع في ثلاث أمكنة: في رأس ياسر عرفات وفي اللجنة المركزية لحركة فتح وفي اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، وبهذا المعنى دور المراكز يكاد لا يُلاحظ في صنع القرار الفلسطيني، كان ربما دوراً استشارياً ودوراً معرفياً، بحيث يقدم تقارير للقيادة للتنوير.

أما الأخ جابر سليمان أخذ علي أي قلنت أن الأخ أبو عمار كان متسامحاً في بعض المسائل، وهذا الكلام غير موضوعي، وأنا أقول صحيح معك حق لو كنت موضوعياً لقلت أبو عمار كان متسامحاً جداً، وكان متسامحاً معك، كان متسامحاً جداً، رحب الصدر، قادراً على أن يستوعب المتناقضات، وقادراً على أن يستوعب المثقفين.. فمثلاً أنيس الصايغ لم يفصله ياسر عرفات بل هو قدم استقالته، لا يوجد شخص يسمع لأبي عمار ويقفل الهاتف بوجهه ولا يحاسبه أحد. هذا ذكره أنيس الصايغ نفسه في مذكراته.

أرجو أن تسمحوا لي بكلمة أخيرة، هناك كلام كثير عن "كوتا"، هذا الكلام لا يعكس المعرفة الحقيقية، مجرد ثرثرة، الكوتا في المقاومة الفلسطينية تعني الديمقراطية التوافقية. لو تريد أن تجري انتخابات لاتحاد طلاب فلسطين على سبيل المثال، لو أجريتها عام 1974 لا ينجح أحد، ربما قد ينجح مرشح واحد للجبهة الشعبية، ولا أعلم إن كان سينجح أحد للجبهة الديمقراطية، هذا معنى الديمقراطية الانتخابية. لكن في التقليد الفلسطيني: الكل يأخذ نصيباً، لهذا واحد وللآخر واحد وللآخرين ثلاثة الكل موجود في البيت. دعونا ننظم خلافاتنا ضمن هذا المنطق. هذا شكل من أشكال الديمقراطية. أما الديمقراطية الأخرى، فلم يكن أحد لينجح سوى فتح. فهناك نوع من المبالغة، وعدم خبرة في العمل الفلسطيني على عله وهي كثيرة.

وبالنسبة لجماعة "بهذا الوقت بالذات"، دائماً يشككون: لماذا هذا الوقت بالذات؟ من سنة 1982 كان هناك مطالبة بإعادة فتح مكتب منظمة التحرير في لبنان، والآن عندما افتتح يسألون لماذا في هذا الوقت بالذات؟ لو افتتح قبل عشر سنين السؤال نفسه سيُطرح، ولو بعد سنتين سيسألون السؤال ذاته، هذا دليل على عجز في التفكير.

سلمان أبو ستة:

أيهما الأولى؛ حقنا بالدولة أو حقنا بالعودة؟

طبعاً كما تعلم لا يوجد أي منافسة ولا مقايضة بين الاثنين، كلاهما حق وكلاهما يجب السعي لهما. طبعاً إذا نظرنا من ناحية القانون، فكل واحد له صفة معينة، واحد حق قابل للتصرف والآخر غير قابل للتصرف، وحق العودة منطبق على أي مكان وزمان، وهو حقنا وهو حق غير قابل للتصرف. ومن الخطأ جداً أن يدعي بعض الناس أنه بإمكاننا أن نعمل دولة ونقايط بها حق العودة، هذا غير وارد. وفي الواقع، الدليل على أن هذين حقان وليساً حقاً واحداً، أنه لما أُدخلت إسرائيل إلى الأمم المتحدة في مايو 1949، كان شرطاً عليها، وهي الدولة الوحيدة المشروط عليها أن تقبل قراراً الدولة وحق العودة في أن واحد وإلا ستكون عضويتها مرفوضة، ولو وجدنا ساسة عرباً وفلسطينيين مخلصين، لكانوا استعانوا بهذه النقطة لرفض عضوية إسرائيل في الأمم المتحدة.

الآن، حق العودة وحق المقاومة، هذا شيء طبيعي، إن كان لديك حق فيجب أن تقاوم كي تصل إلى هذا الحق. بل أكثر من ذلك، أصدرت الأمم المتحدة في العام 1974 قراراً واضحاً: على جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة الوقوف إلى جانب الفلسطينيين في تحقيق حقوقهم ولو بالسلاح. فهذا الحق موجود إذا كنا ننظر إليه من هذه الناحية.

وإذا كنا ننظر من وجهة نظرنا نحن، طبعاً نحن نقاوم بالكلمة وبالسلاح وبالاقتصاد وبالمقاطعة وبكل شيء والآن العالم صغير فيجب أن لا نترك ميداناً إلى أن نحارب فيه. وبالرغم أن السؤال لم يكن موجهاً إلي، أريد أن أقول كلمة في صناعة القرار ومراكز البحث، تعلمون جميعاً كيف تُصنع القرارات في أوروبا وأمريكا، تأتي طبعاً الأمور كلها من مراكز بحث كثيرة، يعقدون ندوات وتعرض أفكار مختلفة ويرون إلى أين تتجه هذه الأفكار وإلى آخره، ثم ترتفع هذه الخلاصة من الندوات والاجتماعات وأوراق العمل، وتصبح اقتراح أوراق عمل للحزب الحاكم أو الحزب المضاد. ثم تناقش هذه الأوراق مرة أخرى في الحزب الحاكم أو الحزب المضاد، ثم تتقدم بها مجموعة من النواب في البرلمان إلى البرلمان، ثم تبنيها لتصبح سياسة الحكومة. وبالتالي يكون القرار مدروساً على عدة مستويات وليس من وحي زعيم ملهم أو أي شخص يستيقظ صباحاً ويطلع بقرار، عملية طويلة ولكنها تصل إلى القرار.